



ISSN: 2074-9554 (Print)

Journal of Al-Frahedis Arts

available online at: <http://www.jaa.tu.edu.iq>

JOFA
Journal
of Al-Frahedis Arts

A new look at the goal of Sultan Mahmud II in summoning Russian troops to Istanbul in 1833 | A study of the Ottoman archives

نظرة جديدة على هدف السلطان محمود الثاني في استدعاء القوات الروسية إلى إسطنبول في 1833 | دراسة من الأرشيف العثماني

Lecturer.Dr. Ahmed Ammash Abdullah

م.د. احمد عماش عبدالله

Tikrit University / College of Education For Humanities Science

Department of History

جامعة تكريت / كلية العلوم الإنسانية / قسم التاريخ

E-mail: asfwer242@tu.edu.iq

Article info.

Article history:

-Received

-Accepted

Keywords:

- Sultan Mahmud II

- Russian

- Istanbul

Abstract: Sometimes the historical account of some of the historical events of a new perspective of these events is the recall of Sultan Mahmud II of the Russian forces to Istanbul, capital of the Ottoman Empire, in 1833. So far, what has been reported on this subject came from the European archives, which bore some historical prejudices. Indeed, the obvious way to do this is by reviewing the records of the Ottoman archives. These records document the instructions of Sultan Mahmud II to his diplomats and reports, and show the Ottoman diplomatic effort during the problem of Muhammad Ali Pasha. This research aims to follow in detail the intention of the true Sultan Mahmud II of calling the Russians to the Ottoman lands.

الخلاصة: احيانا ما تحتاج الرواية المسلم بها لبعض الأحداث التاريخية لمنظور جديد لتلك الأحداث هو استدعاء السلطان محمود الثاني للقوات الروسية إلى اسطنبول، عاصمة الإمبراطورية العثمانية، في عام 1833. وحتى الان، فإن ما روي عن هذا الموضوع جاء من الأرشيفات الأوروبية، والتي حملت بعض التحيزات التاريخية. والواقع ان الطريقة الواضحة على ذلك تكون عبر مراجعة سجلات الأرشيف العثماني. وتلك السجلات توثق تعليمات السلطان محمود الثاني لدبلوماسيه وتقاريرهم، وتظهر الجهد الدبلوماسي العثماني خلال مشكلة محمد علي باشا. وهذا البحث يهدف إلى تتبع تفصيلي لقصد السلطان محمود الثاني الحقيقي من استدعاء الروس إلى الاراضي العثمانية.

المقدمة

بالرغم من ان وجهة النظر العثمانية، ان محمد علي باشا حاكم متمرد والذي طبق اصلاحات في مصر منذ بداية القرن التاسع عشر، وتحدى السلطان محمود الثاني، الا انه وطبقا لبعض المؤرخين كان هو مؤسس مصر الحديثة⁽ⁱ⁾. هذا ويكتب فهمي عن ذلك الحدث بأنه وطبقا لغالبية

المؤرخين المصريين القوميون فترة محمد علي باشا في مصر بأنها الفترة التي حاولت فيها مصر تحرير نفسها من بنيوتها ما قبل الحداثة والاقطاعية في الحقبة العثمانية، وبدأت تنهض لتواكب جزئياً أوربا الحديثة والرأسمالية مع ادارة محمد علي باشا . ان هؤلاء المؤرخين المصريين يؤكدون ان محمد علي كان بطل قومي، وهو الذي حارب لإنقاذ مصر، التي عانت طويلاً تحت السيطرة العثمانية، من السقوط والانحيار، ونقلها إلى العصر الحديث بعمله الصعب وعزمه وتضحيته (ii). وكيفما يكون، وكما سنرى في الاجزاء التالية من هذا البحث، فان السلطان محمود الثاني ورجال دولته كان لديهم اعتقاد مختلف عن ذلك الوالي العثماني ومن وجهة نظر الادارة العثمانية في اسطنبول فانه مجرد حاكم متمرّد، وانه الشخص الذي جلب قدر كبير من الضرر للإمبراطورية العثمانية . وذلك ادى إلى صعوبات ليس فقط للإمبراطورية العثمانية لكن للقوى الأوروبية . وبناء على ذلك، فان كل القوى الأوروبية كانت لديها وجهة نظر مختلفة لمشكلة محمد علي باشا (iii) والواقع ان الاضطراب لم يكن مقصوداً على حادثة واحدة، لكنه انفجر مرتين الاولى بدأت في 1831 وانتهت بمعاهدة كوتاهية في 14 ايار 1833 . والحادثة الثانية بدأت في 1839 وانتهت باتفاق لندن في 15 تموز 1840 .

وفي عام 1832، واجه العثمانيون واحدة من المشاكل الضخمة التي واجهها العثمانيون عبر تاريخهم الطويل . هي مشكلة تمرد محمد علي باشا بجيشه ضد السلطان محمود الثاني، من خلال سيطرتهم على بلاد الشام، وقد تولي محمد علي باشا أهم اقاليم الدولة العثمانية وهي مصر عام 1805م وبدأ محمد علي في العمل على تحسين الاقتصاد المصري وقوته العسكرية والادارية حتى كان من اقوى حكام الإمبراطورية العثمانية، وقد بدأ محمد علي باشا بتوسيع حدوده للاستيلاء على بلاد الشام (تحت ذرائع مدبرة) وبعد انتصارات سريعة على جيش السلطان تحولت تلك المسألة الداخلية داخل الإمبراطورية العثمانية فجأة إلى مشكلة دولية، وظهر بما يسمى بالمسألة المصرية. فانه يجب الاعتراف بأن المدة من معركة قونيه 1832 م إلى حل مشكلة محمد علي باتفاق لندن 1840م، فإن تلك المدة تم البحث فيها بكثافة من منظور أوروبي وفي الدراسات التاريخية التركية وطبقاً لهذه الدراسات فإن السلطان محمود الثاني ورجال دولته فأنهم كانوا ممثلين سلبيين في أحداث المسألة المصرية، ولم يفعلوا شيئاً تقريباً . وان هذا الرأي يصب في صالح افتراضات المستشرقين ويمثل مواقف الرسميين الأوروبيين آنذاك . وفي غياب رأي مبني على الوثائق العثمانية فإنه تحول ليكون رأي مسلم به في هذا الموضوع (iv) .

ولأجل ذلك فإن البحث سيتتبع الأحداث الاولى التي حدثت مباشرة بعد هزيمة الجيش العثماني امام الجيش المصري، وجهة نظر المناورات الدبلوماسية المدروسة والمقصودة للسلطان محمود الثاني التي كانت لتغيير الموقف الدبلوماسي في أوربا فيما يتعلق بمشكلة محمد علي باشا ليتحول ليصبح في صالح مساعدة الإمبراطورية العثمانية . أنه ذلك يشمل مجهودات دبلوماسية الأكفاء

في مدن أوربية، وخاصة لندن، لتفعيل خطة السلطان محمود الثاني ونحن درسنا تلك الفترة باستخدام الوثائق الاصلية العثمانية التي اظهرت ان السلطان محمود الثاني ودبلوماسية قاموا بمجهودات جبارة لحل تلك المشكلة الضخمة وذلك عبر استخدام الوسائل الدبلوماسية والتي لم تبحث بالتفصيل من وجهة النظر العثمانية .

فان الدراسات الانكليزية والتركية حتى الان تعد غير دقيقة، كما راينا في اهمالهم للجهد الدبلوماسي العثماني في تلك الفترة . فان هذا البحث هو محاولة لقراءة الأحداث خاصة في سابقة استدعاء الروس إلى البسفور، من المنظور العثماني الاكثر إهمالاً، وارتكازاً على الوثائق العثمانية المعلن عنها حتى الان .

المحور الاول – بداية مشكلة محمد علي باشا

قال نابليون في واحدة من خطابه في عام 1798م ((كل من يمتلك مصر يمكنه ان يملك الهند أيضاً))^(v)، وان تلك الكلمات تلخص بوضوح أهمية مصر، فخلال الحرب الفرنسية – العثمانية في مصر شد انتباه محمد علي باشا الاختلافات بين الجيوش العثمانية والفرنسية عندما وصل مصر اول مرة عام 1801م وظهر اثرها في محاولته لتعلم التكتيكات والتدريبات العسكرية الجديدة لقوته العسكرية في العقد الثاني من القرن التاسع عشر وفي العشرينات، اعتمد بشده على المستشارين الفرنسيين في ادارة جيشه وتدريب جنوده . وعلى رأسهم المستشار الكولونيل (ستيف) Sève، والمعروف بسليمان باشا الذي عينه محمد علي باشا عام 1820م^(vi)، وخرج مع ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا في حملاته وكان بالنسبة للجيش قائد للأركان العامة، بالإضافة إلى اعداد كبيرة من الفرنسيين ساهموا في تحديث الجيش وجعله جيشاً حديثاً مواكب لتطور جيوش العالم، وقد وصلت بعثه عسكرية إلى مصر بقيادة الجنرال (بوابيه) Boyer في عام 1824م وقامت بإعادة تنظيم الجيش المصري على غرار الجيش الفرنسي^(vii).

وقد سرت فرنسا التي كانت تدعم محمد علي باشا، وكانت في منافسة مع بريطانيا في البحر المتوسط، لرؤية جيش قوي في مصر، وبسبب علمها بالمصالح البريطانية في الهند، أملت فرنسا وطمحت باستخدام محمد علي باشا^(viii). ان محمد علي ايضا على علم بتلك المصالح البريطانية، وسعى لاستخدامها لكسب تأييد بريطانيا . وطبقا (لفيريتا) Verete، فأن (باركر) Barker، السفير البريطاني في مصر، اخبر بالمرستون ان ((الباشا ذهب إلى حكومة جلالتة طلبا لعلاقات خاصة وودية مع بريطانيا، والذي لم يتلقى رداً على طلبه ابدأ)) وكيفما يكون، فأن بالمرستون رفض ذلك الطلب . ويستمر Verete في القول : ((اعتقد بالمرستون ان السلطان العثماني ربما سيثير مسألة المساعدة البريطانية ضد الباشا المتمرد . واذا حدث ذلك فان وزير الدولة سمح للسفير ألا يقول اكثر في التأكيد له (اي السلطان) عن تمنيات العامة بالحفاظ عليه ودعمه وتأيينه كحليف وصديق قديم وكعنصر هام لتوازن القوى في أوربا))^(ix).

وبسبب رغبة محمد علي باستقلال مصر وحكمها ذاتيا، لذا فإنه بدأ عملية تحديث في مصر منذ بداية ولايته، وذلك لتقوية مصر وتحدي سلطة السلطان أساساً والواقع ان الجانب الفرنسي اعلمه ضرورة وجوب القيام باصلاحات اقتصادية وعسكرية وسياسية . وكان محمد علي باشا جندي عادي في الجيش العثماني عندما جاء إلى مصر، ومهما يكن فإنه أصبح الرجل الاقوى بمصر في وقت قصير جدا وذلك يعزو إلى ذكائه ولشخصيته السياسية البارعة الماكرة^(x) . وكيفما يكون، فان احرازه لذلك المنصب لم يكن سهلا لان محمد علي باشا كافح الكثير من المشاكل المعقدة حتى أصبح حاكم لمصر^(xi) . فهو لم يتوقف عند تحديث للجيش، لكنه حاز احتكارات على السلع الهامة، وبذلك دعم وعزز المركز الاقتصادي لمصر^(xii). ويستشهد وبستر بقول بالمرستون : ((لكن محمد علي باشا ايضا اسس احتكارات رسمية عديدة وحدد الاسعار لكي يؤمن الحصول على ارباح ضخمة لنفسه))، والحقيقة هي كتب بالمرستون في 1838م ان محمد علي باشا قسم سكان مصر إلى طبقتين الاغنياء والفقراء، الطبقة الغنية تتكون من محمد علي نفسه وحيداً ومنفرداً، والطبقة الفقيرة تشمل كل سكان مصر الاخرين^(xiii).

والواقع ان الاصلاحات جعلت مصر اقوى، وعندما تأكد محمد علي ان جيشة قويا، تمرد على السلطان وهناك وثيقة عثمانية تؤكد ان اهل مصر بدأوا يرون محمد علي كسلطان جديد^(xiv). كذلك اراد محمد علي وضع سوريا تحت ادارته، لأنه كان يخطط لتأسيس إمبراطوريته الخاصة، ويستشهد (التيندك) Altundag بتقرير من السفير الفرنسي بمصر دروفيت Drovetti، بأنه حتى في 1811م بعد ما هزم محمد علي اعدائه، بدأ يحلم بمصر مستقلة^(xv). كذلك ذكر باركر في تقرير عن محمد علي : ((مزق الستار الذي يخفي ورائه معلنا للعامة ان ذلك الهدف هو خلع السلطان محمود الثاني، وتولية ابن السلطان مكانه^(xvi))).

ولذلك يمكن رؤية ان محمد علي بدأ التمرد في الإمبراطورية العثمانية، جاعلاً نفسه والسلطان خصمين وعدوين . ذلك ادى إلى حرب دشتت مرحلة جديدة في المسألة الشرقية، ووترت توازن القوى في أوروبا لان القوى العظمى تصارعت للاستحواذ والسيطرة على الاراضي العثمانية .

لقد وعد السلطان بمنح محمد علي حكم سوريا وكريت كمكافأة على دعمه خلال التمرد اليوناني . وبالرغم من تلك المنه، الخدمة في الحرب الروسية العثمانية في نهاية 1820م لم يرسل جيشه لمساعدة السلطان، وكان ذلك بسبب انه اراد ان يكون القائد الاعلى للأناضول، وان يكون ابراهيم باشا ابنه القائد الاعلى لل روملية Rumelia، ورفض السلطان منحه ذلك^(xvii) . كذلك اراد محمد علي الاستيلاء على سوريا وبناء على ذلك بدا بوضع الخطط لذلك^(xviii) وكيفما يكون، فان قرب سوريا لمصر سيمنح محمد علي قوة عسكرية واقتصادية كبيرة، وبالتالي، لم يريد السلطان جعل محمد علي حاكماً لسوريا، لذلك هو فقط منحه حكم كريت^(xix) . وهناك سبب اخر لتلك الكراهية

بين السلطان محمد وحمد علي وهو ان بعض موظفي الحكومة العثمانية شعروا بالغيرة من اصلاحات محمد علي الناجحة في مصر، وبين الحين والآخر يخبرون السلطان الاكاذيب عنه^(xx). وبعد كل تلك التطورات في عام 1831م ادت العلاقات المتوترة بين السلطان محمود الثاني ومحمد علي باشا إلى اعلان التمرد . وقد كلف محمد علي ابنه ابراهيم باشا، بالهجوم على سوريا في خريف 1831م، وكان ابراهيم قائد ماهر وقوي ولديه طموح مثل ابيه، وكيفما يكون فان محمد علي اراد فقط تأسيس إمبراطورية مصرية وامتداد طموحات ابراهيم لتأسيس إمبراطورية عبر كل العالم العربي^(xxi) . ومع ذلك، فانه دائما ما اطاع اوامر ابيه لأنه لم يكن رجل دولة متمكن مثل محمد علي .

ان تمرد محمد علي بدأ عندما هجم جيشه على الجيش العثماني في سوريا في خريف 1831م، وقد وقعت اول معركة جدية بين جيش السلطان وجيش محمد علي باشا في 14 نيسان 1832م . وتلك المعركة لم تستمر طويلاً، لكن كان من الواضح ان الجيش المصري كان اكثر استعدادا من الجيش العثماني . وبعد ما ادرك السوريين الاختلاف بين قوة الجيشين، فانهم بدأوا بدعم ابراهيم باشا^(xxii). وبعدها سار الجيش المصري سريعا إلى الاراضي العثمانية، وقد احتل في 27 ايار، ودمشق 16 حزيران، وحلب 15 تموز 1832م . بعد ذلك اعلنت اسطنبول رسميا ان محمد علي باشا وابنه ابراهيم مطرودين من واجباتهم لكونهم متمردين^(xxiii). ولقد كان ذلك مفزعا للسلطان وايضا للقوى الأوروبية . وعليه بدأ محمود الثاني بالتفكير في وجوب التعامل مع ذلك التهديد بجدية اكبر . ولذلك بدأ بأرسال جيش جديد على رأسه حسين باشا، لكن في 29 تموز 1832م، هزم ذلك الجيش ايضا على يد ابراهيم باشا في حمص، ودمر تقريبا^(xxiv). وبذلك النصر تحرك الجيش المصري نحو الاناضول، وقررت الحكومة العثمانية ارسال اخر واكبر جيوشها إلى قونية المدينة الواقعة وسط الاناضول^(xxv) . وبينما استعد السلطان محمود الثاني لأرسال قواته العسكرية ضد ابراهيم باشا، وكان يعلم ان تلك هي اخر فرصة للعثمانيين لوقف ابراهيم وجيشه^(xxvi) .

ان تلك المعركة الاخيرة التي فيها هزم الجيش المصري جيش العثمانيين وقعت في قونية في 21 كانون الاول 1832م . وكيفما يكون، وقبل تلك المعركة الحاسمة، ادرك محمود الثاني ضعف جيشه، وبدأ يسعى طلبا لحل دبلوماسي لإنهاء المشكلة قبل أن تتعرض الإمبراطورية لخسارة اكبر، وكانت واحدة من اهم العلامات ذات الدلالة ان السلطان نشد الحل الدبلوماسي لمشكلة محمد علي باشا هي ارسال نامق باشا إلى لندن لأجل التفاوض على تحالف عسكري بريطاني عثماني قبل المعركة الاخيرة مع جيش محمد علي في قونية ان ذلك المسلك هام جدا لأنه يظهر جيدا ان التمويل على مناشدة تعاون قوي ضد العدو قبل المعركة هو امر مختلف تماما عن سؤال اليأس

كحل اخير بعد ذلك، وعلى النقيض، فأن تعيين نامق باشا يظهر ان السلطان محمود الثاني بدأ يسعى لإيجاد سبيل لمواجهة تلك الازمة قبل المعركة الاخيرة في قونيه بوقت طويل .

المحور الثاني - السلطان محمود الثاني ومجهوداته الدبلوماسية

إذا تتبعنا مهمة وزيرة نامق باشا تفصيلا قد نفهم بدقة النهج الدبلوماسي للسلطان، والواقع ان الدراسة الموضوعية الشاملة لتلك المادة ضروري لان مهمة نامق باشا وتقاريره وتعليمات السلطان اما اهملت وانكرت بالكامل او قلل من شأنها في كل التقارير التاريخية البريطانية، وكيفما يكون وكمثال على مناورة دبلوماسية عثمانية خلال الاوقات الصعبة، فأن تلك المراسلات بين السلطان ونامق باشا وجب تحليلها تحليل شامل، وعندما تجمع كل المراسلات فأن الصورة ستصبح اوضح . ان تلك الصورة الكبيرة هي صورة القدرة الدبلوماسية العثمانية والتي هي مجال وهدف تلك الدراسة، باستخدام الوثائق العثمانية سيحاول اظهار ما الذي فعله العثمانيون دبلوماسيا لقهر التأثيرات الاولى للخسارة الكبيرة ضد محمد علي .

ان القصة تبدأ بالتوصيات المقدمة من السلطان إلى نامق باشا، وكما اشرنا سابقا، فان محمود الثاني عين نامق باشا لمهمته قبل المعركة في قونية 21 كانون الاول 1832م والشيء الأكثر أهمية والملاحظ هنا هو التوصيات القيمة والمقدمة من السلطان وهي مهمة كونها ارتكزت على المصادر الاصلية، والتي ستساعدنا على فهم دبلوماسية العثمانيين في ذلك الوقت (xxvii).

ان اول تلك السمات الهامة هي اسلوب وطريق التوصيات، فذلك الاسلوب ليس اسلوب إمبراطورية عاجزة ضعيفة فلقد اعطى السلطان محمود الثاني اوامر لنامق باشا بأنه اذا فشل الباشا في طلبه بتشكيل تحالف عسكري مع بريطانيا فأن ذلك الفشل سيدمر الصورة العثمانية في العمل الدبلوماسي، وبناء على ذلك وفي حالة الرفض البريطاني للتحالف العسكري ضد محمد علي، فأن الباشا يجب عليه التفاوض على الاقل للحصول على الدعم العسكري البريطاني على شكل عتاد حربي وبحري وضباط عسكريين، وذلك الامر يظهر جيدا ان السلطان كان لا يزال يثق بالقدرة الدبلوماسية العثمانية، برغم كل الصعوبات والهزائم امام محمد علي باشا، وكيفما يكون فان أهمية عقد تحالف عسكري ضد محمد علي كان مؤثراً على نامق باشا، وكان اول واهم هدف لمهمته تلك هو خلق تحالف انجلو- عثماني . وبالرغم من اعترافه بإمكانية الرفض البريطاني للطلب العثماني، الا ان وثيقة اخرى تفرض ان السلطان كان متقائل بشأن فرص التحالف، وفي ذلك تكشف خطئه، فالسلطان محمود الثاني كان مدركا للسياسات البريطانية الجغرافية للشرق الادنى، وما لم يضعه في الحسبان هو السياسات الداخلية لحكومة اللورد جراي الحزبية .

ان نامق باشا وصل إلى لندن في اوائل كانون الاول 1832م واستقبل بود وترحاب من كبار السياسيين والملك وليم الرابع، وقد دعي إلى القصر لمدة ثلاثة ايام (xxviii). واصطحب بالمرستون الباشا إلى القصر وكان اليوم الثالث هو عيد ميلاد الملكة (xxix)، لكن لم يكن هناك وقت كافي

لتأخير اطول لان ابراهيم باشا كان يتقدم بسرعة في الاناضول وكان السلطان متعجلاً لمعرفة نتائج اجتماعات نامق باشا^(xxx) . وكيفما يكون وبالرغم من مجهودات نامق باشا الا ان البريطانيين كان لديهم مشاكل اخرى مثل المشكلة البلجيكية والبرتغالية، واللذان تطلبتا كل موارد البحرية البريطانية، وكانت الحكومة ايضا مشغولة بالكامل بالنقاشات حول اصلاح بيل، والتالي رفض مجلس الوزراء البريطاني طلب السلطان، في ذلك الوقت، وكان الجمهور البريطاني غير مهتم بأهمية حفظ الاراضي العثمانية لأجل المصالح البريطانية المستقبلية، وبالرغم من ان المجلس رفض اقتراحه، الا ان نامق باشا كان لا يزال لديه شيء هام ليشير به للسلطان وعليه الاسراع بأرسال تقرير مهم من لندن في كانون الاول^(xxxi) وفيه عبر عن رأيه بأن مغادرة لندن سيكون الطريق الانسب للتحرك لأنه ليس هناك شيء اخر يمكن ان يفعله في لندن في ذلك الوقت، كان ذلك التقرير عن محادثته الاخيرة مع بالمرستون، اذ كان من الوضع ان وزير الخارجية لم يكن سعيداً بقرار المجلس . وقد اعترف بالمرستون سرا انه تحسر على ان المجلس لم يوافق على تقديم مساعدة عسكرية للإمبراطورية العثمانية في ذلك الوقت، وقد سأله نامق باشا ان يحفظ بقرار المجلس سرا وعدم ابلاغ اي قوى أوروبية اخرى لان اخبار ذلك القرار ستحفز الحاكم المتمرّد وداعميه على السير في جهودهم المدمرة ضد الحكومة العثمانية . وبالإضافة لذلك طلب نامق باشا ان يخفي مغادرته للندن لنفس السبب^(xxxii) .

من الواضح ان السلطان كان لايزال يأمل بان ذلك كان مناورة بريطانية، وان احتمالية التحالف البريطاني العثماني سيكون مؤثر على محمد علي، وانه مستمر في ذلك الامل فإذا فشل فلا مناص من اللجوء إلى روسيا . ان ما تظهره الوثائق العثمانية هو قدرة المسافات التي كان السلطان يرغب بقطعها محاولاً تأمين حل دبلوماسي للزمة وحتى لو لم يتم تزويده بمساعدة عسكرية مباشرة، فإنه كان من الممكن ان تكون مساعدتهم الدبلوماسية مفيدة .

ان الباشا وبالرغم من خيبة امله بالقرار البريطاني، ترك الباب مفتوحاً لتعاون مستقبلي عبر التشديد على انه يقدر مشاعر الصداقة والضيافة التي استقبل بها . وكان الواضح ان البريطانيين قدروا اهمية الإمبراطورية العثمانية، وانهم رأوا محمد علي كتهديد لكلا الإمبراطوريتين، لكن ذلك يكون فقط عندما فشل العثمانيين في التعامل مع التهديد الذي سيدرك البريطانيين بعد ذلك انهم استهانوا به، وان البريطانيين عبروا عن دعمهم للسلطان في صراعه ضد محمد علي باشا، وانهم متفقين مع نامق باشا حول دفع القوى الأوروبية الاخرى على القيام بأعمال عدائية ضد محمد علي، وان نامق باشا قرر ايضا ان بالمرستون عبر في جوابه عن انه متفق مع القرار بأن الباشا يجب عليه الذهاب إلى اسطنبول حالا ويقدم تقرير للسلطان عن كل مفاوضاته في لندن، واكد له ان رحيله من لندن سيبقى سراً^(xxxiii) .

ويبدو انه بالرغم من ان وزير الخارجية لم يكن بالقوة الكافية لحث مجلس الوزراء على ارسال دعم عسكري إلى السلطان، الا انه اراد اظهار تمنياته الطيبة لمحمود الثاني عبر نامق باشا لكي لا يقطع كل الروابط مع الإمبراطورية العثمانية وضمن هذا السياق شدد بالمرستون على انه اعتبر الإمبراطورية العثمانية كحليف، وانه بالمثل يتمنى رخاء وتقدم الإمبراطورية. وفي نفس الوقت هو يتمنى اختفاء اعدائها وانه لن يسمح لأى قوى أوربية اخرى بتأزيم المشكلة بمساعدتها لمحمد علي . اخيرا قرر انه بالرغم من ان مجلس الوزراء لم يتخذ قرار بشأن تحالف عسكري مع الإمبراطورية حتى الان، الا ان ذلك لا يعني انه سيكون مستحيلا ابرام تحالف، وسيكون ممكنا عندما تحين ظروف مواتية^(xxxiv) .

ومن الواضح ان بالمرستون اراد ترك الباب مفتوحا لتعاون انجلو - عثماني وثيق، ولم يريد لقرار مجلس الوزراء ان يغلقه، لكنه مثل العثمانيين، كان مستهين بالقوة العسكرية لمحمد علي باشا، وبالرغم من ان البريطانيين رفضوا التحالف، الا انهم ارسلوا ثلاث خطابات رسمية مختلفة إلى اسطنبول من ثلاث هيئات بريطانية مختلفة . الاول كتبه الملك وليم الرابع نفسه - شخصيا . وفي ذلك الخطاب^(xxxv)، ذكر وليم الرابع ((انه وشعبه يقدرّون عرض السلطان جدا، لكن بسبب بعض المشاكل المعقدة التي يجب على بريطانيا التعامل معها في ذلك الوقت، ولسوء الحظ، فان ذلك العرض لا يمكن قبوله حاليا)) . ان الملك استمر بالقول ((وكيفما يكون، فان ذلك الرفض الاضطراري لا يعنى ان بريطانيا لا تهتم بمشكلة العثمانيين تلك)) . وعلى النقيض تماما، فأنه عين الكولونيل كامبل، لإنذار محمد علي بحزم اذا هو انتهك المفاوضات (والتي بدأت منذ فترة قصيرة في كوتاهية بعد معركة قونية) وتجاسر على تمرد ثانية، و اضاف الملك ان نامق باشا انجز مهمته بامتياز، لكن، كما اشار، الظروف في بريطانيا ليست مواتية حاليا لدعم السلطان ضد الباشا المتمرد .

اما الخطابين الثاني^(xxxvi) والثالث^(xxxvii) كتبهما رئيس الوزراء ووزير الخارجية البريطاني . وهذان الخطبان كانا مشابهيْن لخطاب الملك . ومثله، هما متأسفين ان بريطانيا كانت غير قادرة على مساعدة العثمانيين، ومهما يكن كان على السلطان ان يكون متأكدا ان السياسيين البريطانيين كانوا على داريه كاملة بأهمية الإمبراطورية العثمانية لبريطانيا وان أي احتمال لهجوم جيش محمد علي على اسطنبول، فأنهم لن يسمحوا بسقوط الإمبراطورية العثمانية . ان كل ذلك افترض شيئين لمحمود الثاني، ان البريطانيين لن يفعلوا شيء في ذلك الظرف، لكنهم ربما مع ذلك يتجهون للتحالف - بالرغم من ان ذلك ربما يؤدي لوضع دبلوماسي خطير وصعب . ان السير تشارلز وبستر اجملا موقف وزير الخارجية جيدا : ((ان بالمرستون كان نافذ البصيرة اكثر من زملائه، لكن اعتقاده الخاص لم يكن قويا بكافية، وتأثيره في مجلس الوزراء لم يكن قويا بكافية للحصول على الاجراء الضروري، لذلك جاءت كل سلسلة المشاكل الصعبة .^(xxxviii) .

ان تلك المشاكل الصعبة ظهرت مبكرة جدا لبريطانيا عن ما توقعه بالمرستون، وكانت في مرحلتين . الاولى كانت استدعاء السلطان للقوة البحرية الروسية إلى البسفور . ولقد كان استدعاء القوة العسكرية الروسية إلى الأراضي العثمانية تطور مفاجئ لكل اطراف المشكلة حتى للرسميين العثمانيين، لأن الحرب الاخيرة والهدنة بين هاتين القوتين الاقليميتين وقعت قبل ثلاث سنوات فقط من تلك الدعوة للتدخل الروسي . وفي الحقيقة، فإن العداء بين هاتين القوتين في المنطقة استمرت لقرون . وكما اشار رودكى : ((روسيا، منذ عصر بطرس الاكبر، كانت العدو التقليدي للدولة العثمانية))^(xxxix) . وبسبب ذلك العداء، فإنه لم يكن احد يتوقع تلك المفاجئة المباغته من السلطان .

هذا ومن السهل الدفاع عن التدخل الروسي بكونه علامة لمأزق السلطان محمود الثاني، ولا يوجد هناك انكارا بأنه طلب مساعدة بشكل سيء، لكنه لم يرى في النهاية بدا غير اللجوء لروسيا، لكن نوعا ما كوسيلة للوصول إلى غايته وهي التحالف مع بريطانيا . وللفهم الكامل للسبب الذي دعا السلطان لاستدعاء الجيش الروسي إلى اسطنبول، فإنه يجب دراسة وتحليل اوامر السلطان وتقارير الرسميين العثمانيين وايضا التطورات التاريخية لتلك الفترة بالتفصيل .

ان السلطان محمود الثاني لم يتخلى ابدا عن فكرة كسب البريطانيين إلى جانبه، وهو ببساطة حاول ايجاد طريقة افضل لكسبهم . وهو كان معارض بشدة لقبول المساعدة الروسية . وقد اظهر (كرينوف) Goryanof^(xl)، انه عندما وافق السلطان على التحدث إلى الجنرال (مورافيف) Muravyov مبعوث القيصر الخاص، عن مساعدة عسكرية روسية، كان السلطان غير راغب اساسا في قبولها . وكان بانتظار اخبار طيبة من نامق باشا في لندن، وهو كان لايزال يأمل بتحالف انجلو- عثماني عسكري . وذلك عندما اصبح من الواضح ان البريطانيين لن يساعده - عسكريا أو دبلوماسيا، ولذلك قبل السلطان محمود الثاني المساعدة الروسية، لأنه اعتقد انها ستجبر بريطانيا على مراجعة موقفها.

هذا وقد اشار (دوميز) Dönmez إلى ان السلطان محمود الثاني حاول استخدام ورقة المساعدة الروسية لحث الجمهور البريطاني والفرنسي على التحرك ضد محمد علي باشا^(xli) . والواقع ان خطة السلطان محمود الثاني، المتهورة كما كانت، ادت إلى نوع من المعارضة من مستشاريه وقد كان وزير الدفاع هو رأس حربة مع الحزب المعارض^(xlii) .

وقد اعتبر نامق باشا، في اخر اجتماع له مع بالمرستون، ان تلك المعارضة في الإمبراطورية كسبب لضرورة تحالف عسكري انجلو- عثماني، وطبقا للبasha، ووزير الدفاع عارض بوضوح وجود قوة عسكرية روسية في اسطنبول، وبالإضافة لذلك كان الوزراء الآخرين قلقين جدا منها . وقد فوجئ الجنرال مورافيف بطلب السلطان، وذلك بسبب رفض عرضه الاول بمساعدة عسكرية روسية ضد محمد علي . وكأمر واقع، فإنه عند تحليل الوثائق العثمانية، والتي ستحلل منفصلة في الاجزاء

التالية لهذه الدراسة، فإنه سيكون من الواضح ان رأي السلطان حول تحالف مع بريطانيا لم يتغير لكن الان كان هدفه المناورة دبلوماسيا لقلب رأى الجمهور والحكومة البريطانية المضاد للعثمانيين إلى اتجاه مؤيد للعثمانيين^(xliii). ولفعل ذلك فقد اختار تذكيرهم بأهمية الإمبراطورية العثمانية للمصالح البريطانية. ان الظروف التاريخية تركت فقط طريق واحد للسلطان لينجح في ذلك التذكير، وكان ذلك الطريق هو تخويف الجمهور البريطاني على الهند، اكبر املاك بريطانيا آنذاك، عبر استخدام روسيا كسلاح. وعلى ذلك، وصل الاسطول الروسي، الذى ضم تسع سفن حربية تحت قيادة الاميرال (لازاريف) Lazaref، إلى البسفور في 8 شباط 1833^(xliv). وبينما السلطان محمود الثاني يتربص، كان وقع تلك الخطوة ثقيلًا في بريطانيا.

المحور الثالث: كيف أثرت تكتيكات السلطان محمود الثاني الدبلوماسية على القوى الغربية

لقد اراد بالمرستون فجأة مقابلة نامق باشا، الذى كان يستعد لمغادرة لندن، لمناقشة ذلك التطور المفاجئ. وتقرير نامق باشا ابلغ السلطان انهم تقابلوا في النصف الثاني من شباط 1833^(xlv)، وقد افاد بالمرستون انه استلم خطاب رسمي من اسطنبول والذى قال ان (اورلوف) Orlov، والذى عينه القيصر لحل المشكلة بالنيابة عن الروس، تقابل مع ابراهيم باشا، والذى كان في قونية مع جيشه في ذلك الوقت. وعندما ذكر اورلوف عن مهمته وتعليمات القيصر حول اتفاق سلام مباشر، رد الباشا بأنه تحت سلطة ابيه وانه ينتظر منه الاوامر. وهو ايضا افاد بأنه اراد عقد سلام مع السلطان وكذلك فعل ابيه، كذلك فأن جيشه سيكون في خدمة السلطان. لقد كان ذلك تفسير مهم والذى ربما يعود إلى سببين. أما هو كان يحاول كسب الوقت، أو ان رؤية منظر السفن الحربية الروسية اقلق ابراهيم باشا ايضا. ولأن الموقف تكشف، لذا فإنه يبدو ان السلطان محمود الثاني ان يضرب عصفورين بحجر واحد عبر استخدام الاسطول الروسي في البسفور كبوق انذار ضد كلا من البريطانيين ومحمد علي. ان ابراهيم باشا اضاف انه ارسل اخيرا خطاب إلى اسطنبول للتصريح بتحريك جبشة إلى بورصة، والتي كانت قريبة جدا إلى اسطنبول، لأنه كان هناك نقص في الطعام في قونية لذلك عانى جنوده من ظروف صعبة هناك. وبعد ضم كل تلك المعلومات في خطابه إلى بالمرستون، فأن السلوك اللاحاد من ابراهيم باشا والنتائج الخطيرة على الإمبراطورية التي يمكن توقعها اذا تحرك ابراهيم إلى بورصة، بجانب رفض مجلس الوزراء البريطاني للتعاون كانت الاسباب الرئيسة لاستدعاء الجيش الروسي إلى البسفور^(xlvi). ان ذلك يمثل دليل جلي يظهر خطة السلطان، والتي هدفت إلى عقد تحالف مع بريطانيا عبر انذارهم بوجود القوى الروسية في المنطقة. وبوضوح، فأن السلطان كان يلفت انتباه بالمرستون انه اذا قبلت بريطانيا التحالف فإنه لن يحتاج لاستدعاء الاسطول البحري الروسي. عندئذ، وكما لو ان نامق باشا كان منتظرا تلك اللحظة، بعد كلمات بالمرستون، حيث تقدم ثانية بطلبه لموقف عسكري مشترك ضد جيش ابراهيم

باشا . وكيفما يكون، فان بالمرستون رد فقط بأنهم ارسلوا الكولونيل كامبل إلى الاسكندرية للتفاوض مع محمد علي وهم لايزالون ينتظرون اخباره^(xlvii) .

وكانت المشكلة انه بالرغم من ادراك المخاطر المتوقعة من فرض روسيا لنفوذها وهيمنتها على السلطان، الا ان بالمرستون كان لايزال لا يملك قوات عسكرية يمكنه استخدامها وهو ايضا تساءل عما اذا كانت بالفعل ضرورية .

ان اراء بالمرستون عن محمد علي كانت في جانب منها متفقة مع اراء السلطان، وهو رأى بوضوح اخطار تحالف عثماني - روسي : ((انا اعتقد انه بالنسبة لصالح أوروبا عامة، فأن محمد علي يجب ان يستفيد قليلا قدر الامكان من غزوه، والقليل الذي سيحصل عليه في سوريا، افضل ... لذلك السبب، لأنه لو حصل على الكثير، فأن السلطان عندئذ سيرتمى للابد في احضان روسيا))^(xlviii) .

وكيفما يكون، فانه بالمرستون كان على دراية بأن استدعاء الجيش الروسي كان جزء من استراتيجية شاملة للسلطان محمود الثاني، حيث بدأ السلطان يسلك طرق للتخلص من الروس بالتحالف مع الدول الأوروبية^(xlix) .

وكصدى اخر، فأن وصول الاسطول الروسي ايقظ عملاقين نائمين، هما فرنسا وبريطانيا وفي رد فعل، ارسل نامق باشا تقرير من لندن الذي اشار إلى ان بريطانيا وفرنسا بدأتا التعاون معا لطرد الاسطول الروسي من البسفور⁽ⁱ⁾ . وقد كان ذلك تطور مهم، لأنه وحتى وقت وصول الاسطول الروسي إلى البسفور، كانتا بريطانيا وفرنسا متنافستين في البحر المتوسط . والواقع ان خطة السلطان لتحويل الدولتين المتنافستين إلى حليفين يبدو انها اثارت التنافس بين فرنسا وبريطانيا في الشرق الادنى، وذلك ثبت كونه اكثر صعوبة عن ما توقعه محمود الثاني من خلق تحالف مضاد لروسيا، وذلك لم يحدث حتى فترة طويلة بعد موته، لكن توقعاته لم تكن خاطئة . ان ذلك الموقف يظهر ان استدعاء الاسطول الروسي لم يؤثر فقط على محمد علي لكن ايضا سبب بعض التغيرات الهامة في المضمار الدبلوماسي الأوربي . والواقع ان بروان حلل السبب لتحول علاقات بريطانيا مع فرنسا في كتابه الموجز عن بالمرستون⁽ⁱⁱ⁾ . وطبقا له فقد حاول بالمرستون اولاً التقرب مع مترنيخ رئيس وزراء النمسا بشأن مشكلة محمد علي . وكيفما يكون، فإنه بمرور الوقت، بدأ يشك بإخلاص مقاصد مترنيخ فيما يتعلق بالإمبراطورية العثمانية .

وحقيقة، فأن السلطان ورجال الدولة العثمانية استنكروا ذلك التعاون، لأن فرنسا كانت تدعم محمد علي منذ مدة طويلة . وهم ايضا ذكروا الاحتلال الفرنسي للجزائر في 1830 . وكان هناك شخص ما اخر والذي لم يحب تعاون فرنسا مع بريطانيا ايضا، وهو مترنيخ، مستشار الإمبراطورية النمساوية . وتوجد هناك وثيقة عثمانية هامة عن ذلك الموضوع⁽ⁱⁱⁱ⁾ . انها هامة لأنها تفسر تفاصيل عديدة لعلاقات نمساوية - عثمانية تعلقت بمشكلة محمد علي . ان الوثيقة تشير إلى ان المترجم

الرئيسي للإمبراطورية النمساوية جاء إلى وزير الخارجية العثماني وشرح له انه استلم خطابا من مترنيخ . ان مترنيخ اقر في الخطاب ان موظف فرنسي من وزارة الخارجية الفرنسية قابل بالمرستون وتفاوض معه حول تعاون انجلو-فرنسي في مشكلة محمد علي . وكيفما يكون، فقد أمر مترنيخ السفير في لندن بتوصية نامق باشا ليكون حازما في الاصرار على مساعدة عسكرية بريطانية . ان مترنيخ اقترح للعثمانيين ان فرنسا لا يجب ان تشارك في مشكلة محمد علي باشا وانهم فقط عليهم الوثوق ببريطانيا . وهو ايضا اشار حتى إلى انه ارسل كولونيل، (الوثيقة العثمانية تقول ان اسمه كان Birukes) مثلما ارسلت بريطانيا الكولونيل كامبل، وهو يتحرك مع كامبل⁽ⁱⁱⁱ⁾ . لكن بالمرستون، الذي لم يثق بالنمساويين، لم يكن بوسعه التأكد من نيات مترنيخ الجديدة . وهو كان في حيرة من امر الارتباط بمترنيخ لحل مشكلة محمد علي . ان جزء منه كان متفائل وجزء اخر متشائم . ان ديفيد بروان يصف جانبين مختلفين لتفكير بالمرستون في كتابه عنه . ان جزء منه اراد بشدة التعاون مع الإمبراطورية النمساوية لحل المشكلة الشرقية . وطبقا لبروان، فان بالمرستون كان قلقا حول الدعم الفرنسي المقدم لمحمد علي وحول التألف الاخير بين العثمانيين والروس بناء على استدعاء السلطان^(iv) . وبناء على ذلك، فان الحل بدا لبالمرستون في التعاون مع مترنيخ وكما اشرنا سابقا من خلال الوثيقة العثمانية، فان مترنيخ في البداية رد بطريقة ايجابية على رغبة بالمرستون واقترح لنامق باشا ان يصر على مساعدة عسكرية بريطانية . واثناء ذلك، فإنه وبينما كان ذلك التفاعل الدبلوماسي المعقد مستمر كان هناك تطور مفاجئ . فقد اعلن رئيس الوزراء الفرنسي للسفير النمساوي في باريس انهم يملكون حل مرضى للعثمانيين وانه سأل اذا كانت الإمبراطورية النمساوية تحب اللحاق بهم أم لا . وقد رد السفير انه ليس لديه أي تعليمات تتعلق بذلك الموضوع لذلك فإنه يحتاج ان يكتب ويطلب رأى حكومته^(v).

ذلك الاعلان عن موقف فرنسا لم يشار اليه في المصادر التاريخية عن ذلك الموضوع . وبعد ذلك، ابلغ مترنيخ فرنسا انه احتفظ بما علمه من سفيره، وكان اولاً هو يحتاج ليعلم ما ذلك الحل الذي تقترحه فرنسا، وبعدها هو يستطيع اتخاذ قرار . ويبدو ان ذلك كان محاولة من مترنيخ للإلهاء فرنسا، لأنه في نفس الوقت هو ايضا اقترح سرا على الدبلوماسيين العثمانيين انهم عليهم عدم الرفض العلني للعرض الفرنسي في البداية، وفقط وبعد فترة عليهم شرح رفضهم لذلك العرض^(vi) . ان البريطانيين والفرنسيين لم يتوقعوا ان يستدعي السلطان الروس . فالروس كانوا هم العدو التقليدي للإمبراطورية العثمانية، ووجود الاسطول الروسي في المنطقة كان وضع خطير جدا مؤثر على المصالح البريطانية في الهند وعلى القوة العسكرية الفرنسية في البحر المتوسط. وفي الحقيقة، فإنه لم يكن هناك أي رجل دولة عثماني يتوقعه، وذلك لأن الروس كانوا العدو الاكبر في نظر اغلب العثمانيين .

المحور الرابع - فزع بريطاني من وجود عسكري روسي في اسطنبول

كان الجمهور البريطاني في حالة فزع بعد ما شوهد الاسطول الروسي في البسفور . وبالرغم من ان الجانب البريطاني كان في وضع سلبي منذ بداية مشكلة محمد علي، وعندما شوهد الاسطول الروسي في البسفور بدأ البريطانيون بالتحرك واتخاذ موقف جاد من تلك الازمة^(vii) . لقد بدت خطة السلطان تعمل . وكانت العلامة الأكثر اهمية لذلك هو مواقف وليم الرابع . فعندما وصلت السفن الحربية الروسية، كان نامق باشا لا يزال في لندن . وعندما ذهب الباشا إلى القصر لأخر مرة، اخبر الملك الباشا انه لا يوافق على أي تحالف عثماني - روسي لأنه ليس هناك فائدة للعثمانيين من الارتباط بالروس وايضا كانت الإمبراطورية الروسية عدوة لكلا من الإمبراطورية العثمانية وللبريطانيين . وعلاوة على ذلك، وطبقا للملك، كان هدف روسيا الوحيد ايجاد طريق إلى الهند وهي مستعمرة بريطانية^(viii) . وللأهمية، فإن الملك لم يشير لأي شيء حول الهند عندما قابل نامق باشا لأول مرة . ذلك يظهر ان الخطر الروسي ذكر الملك بأهمية الإمبراطورية العثمانية الحيوية لبريطانيا والجمهور البريطاني .

ان نامق باشا كان سفيراً نبيها . وهو يرد على الملك بأنه كان على علم تام بأن الإمبراطورية الروسية كانت عدو كبير للإمبراطورية العثمانية لمدة طويلة، لكن عندما عرض القيصر تقديم المساعدة الروسية للسلطان ضد محمد علي، فإن السلطان لم يقبل ذلك العرض وبدلاً من ذلك ارسل سفيره إلى لندن من اجل تحالف عسكري انجلو - عثماني . وطبقاً للباشا، فإن ذلك كان دليل قوى على ثقة السلطان العميقة ببريطانيا . ومع ذلك، وعندما رفضت بريطانيا ذلك العرض من السلطان، قبل السلطان عرض القيصر^(lix) .

وكان الباشا يحاول اظهار الخطأ الكبير الذي ارتكبه مجلس الوزراء برفضهم عرض السلطان، باستخدام الخطر الروسي لإظهار فوائد بريطانيا . وكأمر واقع، فإنه لم يكن هناك وقت افضل من ذلك لاعلان التحالف العسكري .

وكيفما يكون، فإنه بالرغم من كل الجهود البريطانية والفرنسية، الا ان السفن الحربية الروسية بقيت في البسفور لأربعة اشهر اخرى . وبعد برهة، طلب السلطان (30000) جندي و(600) من سلاح الفرسان و(110) من قوات المدفعية، من القيصر^(lx) . وبالإضافة للسفن الحربية الروسية، وبسبب انه لم يكن مسروراً بالموقف البريطاني الثابت بعد مناوخته الدبلوماسية المفاجئة . ومن وجهة النظر العثمانية، فإن الاجراء الوحيد للسياسيين البريطانيين كان فقط الوعظ والمشاهدة بدون اتخاذ أي اجراء حاسم . ان محمود الثاني قرر انه لم يريد قط سماع كلمات عن تلك المشكلة، فشيء ما يجب ان يحدث، وحتى عودة ابراهيم باشا إلى مصر، فإن الجيش الروسي سيبقى في اسطنبول^(lxi) . ان السبب لعدم رضا السلطان كان انه بالرغم من كل مجهودات الدبلوماسيين العثمانيين لعقد تحالف عسكري مع بريطانيا باستخدام ورقة المساعدة الروسية، الا انه يبدو ان بالمرستون لم

يستطيع الاقتناع بضرورة تقديم الدعم الكامل للعثمانيين في الوقت الفاصل بين قدوم القوة العسكرية الروسية ومعاهدة (خونكاراسكلة سي) . ان تلك المعاهدة كانت هي المناورة الاكبر لمحمود الثاني للوصول لهدفه بعقد تحالف عسكري مع بريطانيا . وقد كان فقط عندما افضت معاهدة خونكاراسكلة سي ادرك بالمرستون عمق معاناة هزيمة المصالح البريطانية . ولقد قضى سنوات عديدة محاولا تصويب ما اعتبره متأخرا خطيئة كبرى . وكما اظهره (باكر) Baker : ((الحقيقة تبدو في ان التتابع السريع للأحداث في الشرق الأدنى باغت بالمرستون المشغول البال والغير مستعد والمتأخر . ان هناك اعتراف مستتر جدا بذلك)) وكيفما يكون، ((فأنه اتخذت الاستعدادات، ولا تزال تتخذ، لتمكين الحكومة البريطانية من التعامل مع الظروف المستقبلية طبقا للرأي الذي يتخذ بناء على مقتضيات الوضع آنذاك))^(xii) . واثاء ذلك، كان لأخبار السفن الحربية الروسية في البسفور نفس وقع الصدمة على الجمهور الفرنسي كما كان على الجمهور الإنجليزي، لذلك تراجعت فرنسا لحد ما عن دعم محمد علي، كما كانت ممارستهم منذ بداية تمرده . ان تلك الصدمة مشهودة في وثيقة عثمانية حيث افصحت، ان السفير الفرنسي جاء إلى السلطان محمود الثاني والسفير الروسي كيف معربا عن اسفه على الدعم الفرنسي لمحمد علي منذ بداية الازمة^(xiii) .

وقد قرر ايضا في نفس الوثيقة ان ذلك الاعتذار من السفير الفرنسي كان طبيعيا لأن فرنسا لن تجرأ على تحدى الجيش الروسي والذي قوامه 400 ألف جندي . وكما فهم من تلك الجملة، فأن السلطان حاول ايضا الاستفادة من البوق الروسي دبلوماسيا ضد اعدائه الآخرين .

وحقيقة، فأن ظهور الاسطول الروسي في اسطنبول عزز الجهود الفرنسية والبريطانية لحث محمد علي على استدعاء جيشه من الاناضول واعادته إلى مصر . وقد تحرك السفير الفرنسي في اسطنبول البارون روسين، الذي عين لتلك المهمة في شباط^(xiv) بالنيابة عن فرنسا وكما اشرنا سابقا، تحرك الكولونيل كامبل بالنيابة عن بريطانيا، لأقناع محمد علي . وعن ذلك الموضوع، قام ريس افندي (وزير الخارجية العثماني) بالاجتماع بالسفير البريطاني في اسطنبول (بونسونبي Ponsonby) . ان بونسونبي من البداية اشار إلى ان بريطانيا راغبة بالحفاظ على السلامة الاقليمية للإمبراطورية العثمانية . وهو اخبر الوزير انه لدعم تلك السياسة فأن بريطانيا عينت الكولونيل كامبل لتلك المهمة فقط، ليقنع محمد علي لأعاده الاعتراف بتبعيته للحكومة المركزية في اسطنبول^(xv) وبعد تلك الكلمات، سأل بونسونبي ما اذا كانت السفن الحربية الروسية ستترك مضيق البسفور ام لا . وردا على السؤال الرئيس افندي انه كان من المؤكد ان السفن الحربية الروسية ستغادر اسطنبول قريبا . وكيفما يكون، فأنهم لم يعلموا اذا كانت الظروف الجوية مناسبة لمغادرتهم في تلك اللحظة أم لا^(xvi) .

ان تلك الكلمات تبدو انها تشير إلى ان الرئيس افندي كان يحاول كسب بعض الوقت . وربما كان السلطان يتابع تقدم خطته منتظرا الظروف الدبلوماسية المناسبة لصالح الإمبراطورية . وعندها فقط سوف يطرد الاسطول الروسي من اسطنبول، هو بالطبع يمكنه ذلك.

وعلاوة على ذلك، نوه الرئيس افندي إلى سفير بريطانيا في اسطنبول ل بونسونبي Ponsonby ، في نفس الاجتماع، كيف تصرف السفير الفرنسي روسين بعدوانية تجاه السفن الحربية الروسية . وللاهمية، قرر ان وجود الاسطول الروسي في اسطنبول بعد الان هو أمر مخزى لفرنسا، مفترضاً ان ذلك كان التبرير لتصرفه الغير دبلوماسي . والواقع ان مسلك روسين العدواني نوعاً حفز رئيس افندي ليعبر عن قلقه من أي اجراء محتمل ربما هو يتخذه فيما بعد، والذي ربما يفسد التوازن الدبلوماسي في المنطقة . كان قلقاً من سياسات فرنسا المتعلقة بمشكلة محمد علي باشا وذلك لأن الدبلوماسيين الفرنسيين ذهبوا لحد التهديد في موقف غير معد للتفاوض^(lxvii) . وكما وجدنا في وثيقة عثمانية، هدد الدبلوماسيين الفرنسيين رجال الدولة العثمانية من انهم سيستمروا بدعم محمد علي علاوة على ذلك تشجيع توسيع حدود اليونان (وهي الدولة التي حصلت على استقلالها اخيراً من الإمبراطورية العثمانية) اذا استمرت الإمبراطورية العثمانية في السماح للسفن الحربية الروسية بالبقاء في البسفور^(lxviii) . وبخصوص ذلك، فأن رئيس افندي طلب من بونسونبي التحدث إلى روسين على نحو مغاير للقواعد والاعراف الدبلوماسية . وقد وافق بونسونبي على انجاز ذلك الطلب من رئيس افندي^(lxix).

والواقع ان كل تلك الوثائق هي دليل على ان رجال الدولة العثمانية كانوا يحاولون حل المشكلة بطريقة دبلوماسية متبعين تعليمات السلطان . واحياناً حاولوا استخدام بريطانيا ضد فرنسا، واحياناً حاولوا استخدام روسيا ضد كل القوى في كل ذلك الصراع الدبلوماسي الشامل محمد علي . وفي الحقيقة وجب عليهم ذلك، لأن الإمبراطورية كانت في ظروف صعبة اقتصادياً وعسكرياً وبناءً على ذلك كان العلاج الوحيد والفعال للإمبراطورية هو استخدام الدبلوماسية . وعند مراعاة ذلك من وجهة نظر مستوى كفاءة وقدرة الدبلوماسيين العثمانيين في استخدام الدبلوماسية التي ستشكل مصير الإمبراطورية و بالفعل، تواجد العثمانيين بنجاح مع القوى الأخرى في المنطقة منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، وذلك زاد من مهارتهم الدبلوماسية، لكنهم لم يحتاجوا فقط إلى استخدام تلك القدرة بسبب وضعهم الاقتصادي والعسكري القوى . وبكلمات أخرى، انهم استخدموا نظامهم الاقتصادي والعسكري القوي للحفاظ على وضعهم مع القوى الأخرى في المنطقة لقرون، لكن تلك المرة وفي القرن التاسع عشر الميلادي، كانوا في حاجة ضرورية إلى الدبلوماسية للحفاظ على السلامة الإقليمية للإمبراطورية . لقد كانت الدبلوماسية مطلوبة للإعاقه ومنع تحركات الدبلوماسيين الفرنسيين ضد الدولة العثمانية .

وبالرغم من موافقة بونسونبي على تحذير روسين، الا ان السلطان كان حذرا وأمر رجال دولته إذ قال : ((من الواضح ان فرنسا لن تقوم بأي شيء يضر المصالح العثمانية، الا ان الدبلوماسية الفرنسية في اسطنبول يجب تعقبها بحذر شديد لتجنب احتمال اجراء فرنسي متفق مع سياستهم المعهودة))^(lxx) .

وايضا وبجانب تلك التدابير المتخذة وبناء على خلفية فرنسا، ناشد السلطان موظفيه ايضا السعي خلف كل زاوية دبلوماسية . ولذلك اعطى ريس افندي اوامره لدبلوماسي الإمبراطورية الآخرين بأن يكونوا حذرين وحريصين على عدم قطع كل الروابط مع فرنسا^(lxxi).

واثناء ذلك، استثير القيصر ضد الضغط الفرنسي على العثمانيين . وعليه قام بتعيين (اورلوف) Orlov بدلا من بوتينيف إلى اسطنبول كسفير . وكان اورلوف مفوضا بسلطة كبيرة . وقد قرر (مافروجيني) Mavrojani - القائم بالأعمال العثمانية في فيينا الذي ارسله السلطان محمود الثاني إلى لندن - من لندن انه اجتمع مع (دولت) Delyot - السفير الروسي إلى لندن - في قصر باكنجهام . وقد اشار السفير إلى ان بوتينيف كان صغيرا جدا على ادارة الاسطول والجيش الروسي في اسطنبول ولذلك عين القيصر اورلوف، الذي غادر من بطرسبرج في 9 نيسان 1833، مع تفويض خاص بتصويب الاشياء في اسطنبول . وهو ايضا اشار إلى ان هذا التعيين كان اشارة على شعور ودي من القيصر إلى السلطان ولذلك هو أمل ان السلطان ورجال الدولة العثمانية سيسرون بتلك الخطوة من القيصر^(lxxii).

وقد افاد (جرينوف) Goryanof : ((بناء على تعليمات القيصر فأن اورلوف كان مسئولا عن منع الفرنسيين من ممارسة الضغط في اسطنبول))^(lxxiii) .

وبينما كانت مخفية سابقا، بدأت خطة السلطان تعمل بعد ظهور السفن الحربية والجنود الروس، فقد بدأ الملك وليم الرابع يكون اكثر اهتماما بمشكلة محمد علي بسبب المصالح البريطانية في المنطقة . وقد تفاوض الملك مع (مافروجيني) على ذلك في نفس اليوم الذي تقابل فيه مع السفير الروسي في القصر . وقد سأل وليم الرابع عن آرائه حول عما اذا كانت هناك امكانية توصل السلطان ومحمد علي لاتفاق . وقد اجاب مافروجيني بأنه كان متأكد من ان محمد علي سيقبل شروط السلطان لأنه كسب اكثر مما كان يتوقعه . كذلك ابلغ مافروجيني الملك ايضا انه ارسل تقرير إلى اسطنبول حول مفاوضاته في القصر . وعندما سمع الملك ذلك اراده ان يشير على السلطان بأنه ليس هناك حاجة لاستمرار مهمة اورلوف بعد الان . وعلاوة على ذلك، قد عين الادميرال مالكولم كقائد للاسطول البريطاني الموجود في البحر المتوسط والاكثر اهمية، اعطائه اوامر بالتحرك لصالح المصالح العثمانية . وبالإضافة لذلك، فأن الملك ذكر ان الكولونيل كامبل ارسل له تقرير من الاسكندرية يبلغه فيه بأنه قابل محمد علي، وان الباشا استقبله بود وترحاب. وهو ابلغ محمد علي بتعليمات الملك حول انتهاء ذلك التمرد ضد السلطان سريعا وان يقبل بسيادته

ثانية . وفى رده ذكر الباشا انه كأمر واقع انه لم يفكر ابدا بالتحرك خارج سيادة وسلطة السلطان وانه يقبل به دائما بتبعيته للسلطان^(lxxiv) .

لقد كان محمد علي أما مستهزئاً بكلا الملك والسلطان أو كان مقهوراً بالخوف كنتيجة للوجود العسكري الروسي في اسطنبول والضغط الدبلوماسي البريطاني والفرنسي .

ان بريطانيا التي لم تفعل شيء باستثناء المهمة ببعض الكلمات الاسترضائية عندما طلب نامق باشا تحالف عسكري في ظرف حرج جداً، أصبحت الآن بريطانيا تعمل على مساعدة العثمانيين . والواقع انه عند تحليل ذلك التغيير للسياسات البريطانية المتعلقة بالعثمانيين في ضوء المناقشة الرئيسية للبحث، ويبدو السبب في ذلك التغير هو المشاعر القلقة التي انتابت الجمهور البريطاني حول المصالح العثمانية في المنطقة والتي اجبها السلطان وبخطته باستدعاء القوى العسكرية الروسية إلى البسفور . ان ذلك التغير حدث سريعاً، حيث اخذ ذلك التغير السياسي مدة شهرين ليظهر، من شباط إلى نيسان . والواقع ان الاجتماع في القصر كان علامة هامة، وتستخدم كنموذج ممتاز لذلك التطور الايجابي في السياسات البريطانية تجاه الإمبراطورية العثمانية لأن كل السياسيين البريطانيين الذين قابلهم مافروجيني في القصر غيروا افكارهم فيما يتعلق بالعثمانيين والان اتجهوا نحو تأييد ارسال مساعدة عسكرية . وكان اكثرهم اهتماماً ولیم الرابع ورئيس الوزراء اللورد جراي ووزير الخارجية بالمرستون^(lxxv) . ان هؤلاء كانوا يقدمون آرائهم الايجابية حول مساعدة الإمبراطورية العثمانية ضد اعدائها في المنطقة وهم اتخذوا موقفاً متشدداً في صالح العثمانيين، وهو موقف مناقض لاجتماعات شباط مع نامق باشا . وفى ذلك الخصوص، أعلن الملك انه :

((عند دراسة كلمات محمد علي، والتي تحدث بها إلى الكولونيل كامبل، فإنه لن تكون هناك حاجة لبقاء القوة العسكرية الروسية في اسطنبول بعد الان وبناء على ذلك فأنا اي قرار بعودة الروس إلى الأراضي العثمانية مرة اخرى سيكون نقطة تنافس وخصام بين القوى في المنطقة سيضر بالمصالح العثمانية))^(lxxvi) .

وبعد تلك الكلمات، تحدث الملك عن موضوع حاسم كان في حسابات العلاقات الانجلو-عثمانية في العقود التالية . وقد عبر عنه بأن :

((السلطان سيتعين عليه عمل الاصلاحات المطلوبة في النظام المالي والإداري مباشرة بعد عقد اتفاق مع محمد علي . فإنه بدون تلك الاصلاحات الحاسمة فأنتي اخشى التعبير عن ان الإمبراطورية العثمانية ستفككها روسيا واعداء الإمبراطورية الآخرين بسرعة))^(lxxvii) .

ان كلمات الملك تلك كانت هامة جداً لأن السلطان ورجاله الافضل ودبلوماسيه الابرز مصطفى رشيد صمما سياستهما على الاسراع بنظام الاصلاحات المالية والادارية . وذلك يعني ان الباب، الذي فتحه السلطان بالتلميح بالمساعدة الروسية ضد الجمهور البريطاني ليسهل بشكل افضل عقد تحالف عسكري، تحول حينها إلى تعاون ادارى ومالي للحفاظ على الإمبراطورية وايضا

السماح له بالهروب من التأثير الروسي في اسطنبول . ان ذلك التعاون وبرنامج الاصلاح تحقق بمعاهدة (بلطة - ليمان) 1838 Balta Limanni لأجل النظام المالي وبقرار خط شريف كلخانة 1839 لأجل النظام الإداري . ان كل تلك الاصلاحات كانت مرتبطة بالتحسن في العلاقات الانجلو-عثمانية مع مجهودات السلطان ورجال دولته لأقناع الملك ورجال دولته بدعمهم والوقوف بجانبهم في مشكلة محمد علي . ومن ثم، فانه سيكون من العدل القول ان برامج الاصلاح تلك، والتي هدفت إلى تخليص الإمبراطورية من الصعوبات بالأساليب الغربية امكن رؤيتها كمستوى اخر لمعاهدة (خونكاراسكلة سي) .

ان الشخصية الهامة الاخرى بين السياسيين البريطانيين، الذين غيروا آرائهم حول الإمبراطورية العثمانية مع بروز الخطر الروسي الطارئ في اسطنبول، كانت هي شخصية رئيس الوزراء اللورد جراي . فهو كان في القصر في ذلك اليوم وهو ايضا تحدث إلى مافروجيني حول مشكلة محمد علي ومثل الملك، هو ايضا كان متأكدا من ان محمد علي كان راضيا عن تنازلات السلطان في مفاوضات كوتاهية عام 1833م. وبناء على ذلك، خط شريف كلخانة هو رغب بالتعبير بصفة شخصية ان الاسطول الروسي (والذي كان، طبقا لرئيس الوزراء، ان الاسطول الروسي يقوم حاليا بالسيطرة على البسفور) ينبغي عليه مغادرة الأراضي العثمانية فورا، وذلك لأن أي تأخير في ذلك القرار الضروري سيسبب عدواه فرنسا والتي كانت متجه إلى الاضرار بالإمبراطورية العثمانية. وفي ذلك الخصوص فإنه اضاف انه يحب التأكيد للسلطان ان الحكومة البريطانية لا تريد أي صراع بين الإمبراطورية العثمانية وفرنسا لأنهم يودون ان يكونوا مفيدين للإمبراطورية (lxxviii). ان اللورد جراي لم يكن راضيا بتلك الكلمات فقط أظهر ميل حكومته لمساعدة العثمانيين ضد محمد علي والخطر الروسي في اسطنبول، لكي يعيد الطمأنينة للسلطان، ان القائد الجديد للقوة البحرية البريطانية في البحر المتوسط، الادميرال مالكولم Malcolm، سيرحل من مالطا غدا. وتلك القوة البحرية البريطانية ستتحرك لأجل المصالح العثمانية اينما تحتاجها ستذهب لأجل تلك المصالح، إلى الاسكندرية أو أي مكان اخر في البحر المتوسط (lxxix) .

وعند تحليل كلمات رئيس الوزراء، فإنه لا يمكن ان يكون هناك دليل قوى عن ذلك لدعم راينا لتلك الدراسة، ان خطة السلطان بدأت تعمل لأن رأس الحكومة البريطانية اشار إلى ان القوة البحرية البريطانية التي منذ (50) يوما فقط لم يكن لديها وقت للاهتمام بالمشاكل العثمانية ستتحرك لأجل المصالح العثمانية.

وعلاوة على ذلك، فأن اللورد جراي ابلغ ذلك التطور إلى الكولونيل كامبل، الذي كان يتفاوض مع محمد علي في الاسكندرية في ذلك الوقت، وقد قرر الكولونيل من مصر ان محمد علي لم يتوقع دعم الحكومة البريطانية للسلطان . وعندما سمع ان الحكومة البريطانية قررت تأييد الحكومة المركزية العثمانية، تفاجئ محمد علي تماما لأنه كان على علم برفض الحكومة البريطانية مساعدة

الدولة العثمانية في شباط الماضي^(lxxx). وعلى الجانب الآخر لم يكن عالما بقدرة محمود الثاني الدبلوماسية . وبعد كل تلك البيانات من البريطانيين، ابلى السفير العثماني مافروجيني، والذي استطاع رؤية التغير الكبير الحالي في الاجواء السياسية في لندن والمتعلقة بطلب السلطان، ان رئيس الوزراء متفق على انه ليس هناك حاجة لبقاء القوة العسكرية الروسية في الأراضي العثمانية حاليا . وطبقا ل مافروجيني، فإن الرحيل القوات الروسية سيعنى تخفيف الضغط الفرنسي في اسطنبول، وعندما علم ان القرار النهائي لمجلس الوزراء البريطاني كان داعما للسلطان، رضى محمد علي وقنع بالحقوق التي خولها السلطان له في مفاوضات كوتاهية^(lxxxi).

واثناء ذلك، اشترك بالمرستون في الاستكار العام لوصول السفن الحربية الروسية . وكما اشرنا سابقا، فإنه ارسل كامبل إلى مصر ليتفاوض مع محمد علي ويحثه على استدعاء جيشه إلى مصر . وعندما شاهد السلطان ان خطته بدأت تعمل، اصدر امر إلى ريس افندي بالتفاوض مع الدبلوماسيين الروس لتحريك السفن الحربية الروسية إلى ساحل مدينة سوزوبول Süzebolu بعيدا عن البسفور^(lxxxii) .

ان خطة السلطان كانت تعمل لأن القلق البريطاني والفرنسي حول القوة الروسية في اسطنبول كان يزداد يوميا بعد يوم . وكنتيجة لذلك، فأنهم عززوا تعاونهم لإنهاء مشكلة محمد علي بأقل قدر من الخسائر لمصالحهم في المنطقة . وعليه توقفت فرنسا عن تشجيع ودعم محمد علي كذلك بدأ الانجليز يدركون الاهمية الحقيقية للإمبراطورية العثمانية بالنسبة للمصالح البريطانية . وبالرغم من التغير في سياسات القوتين ضد محمد علي، الا ان السلطان محمود الثاني كانت عينيه على كلا القوتين . فقد أمر وزرائه بالاجتماع بكلا السفيرين، روسين وبونسونبي، لفهم خلفية ومستوى ذلك التعاون^(lxxxiii) .

وبالإضافة لذلك، فإنه سمع من موظفيه انه عندما اجتمع المترجم البريطاني (بيزيني) Pizani مع الرئيس افندي، اشار إلى مناقشتين مختلفتين . وطبقا لواحدة منهما، كان محمد علي متمرد، لكن طبقا للأخرى، فإنه لو ان ذلك الصراع كان لأجل الشعب المصري فإنه عندئذ لا يعتبر كتمرد^(lxxxiv) . والواقع ان كلمات بيزيني جعلت السلطان غاضبا جدا وأمر بوجود استطلاع رأى بونسونبي Ponsonby حول تلك الافادة . ان محمود الثاني كان ايضا متعجبا من كينونة السبب لهذا التفسير، في حين ظهرت بريطانيا سابقا معارضة بالكامل للباشا المتمرد. وبناء على تقرير تلك الحالة، سأل ريس افندي بصراحة تامة، في اجتماعه مع السفراء^(lxxxv)، عن ماهية الوضع النهائي لكلا القوتين في التعاون الانجلو- فرنسي ضد محمد علي . والواقع ان اهتمام السلطان يمكن رؤيته في كيفية كونه حذرا حول خطته وكيف انه لم يغفل عن أي احتمال لخسارتها حتى لو كان الامر عبارة عن تقرير وافادة لمترجم عادي، وفي نفس الوقت، وكما اشرنا سابقا، أمر السلطان وزرائه بسؤال الدبلوماسيين الروس بتحريك السفن الحربية الروسية إلى ساحل مدينة سوزوبول . وكيفما

يكون، فإنه كان لا يزال حذرا جدا بشأن التوازن الدبلوماسي ولذلك اقترح عليهم استخدام لغة لبقة في تلك المفاوضات مع روسيا (lxxxvi).

وعلى أثر ذلك، اجتمع ريس افندي مع اورلوف والجنرال مورافيف في منزله (lxxxvii). وفي البداية نوه ريس افندي عن سعادة السلطان بدعم القيصر عبر ارسال سفنه الحربية وجنوده إلى اسطنبول، ثم ذهب لسؤال اورلوف اذا كان سيحرك السفن الحربية الروسية إلى ساحل مدينة سوزوبول. ان ريس افندي قدم ذلك السؤال بناء على اوامر السلطان، وذلك لأن الاجواء السياسية في لندن والمرتبطة بإمبراطوريته بدأت في التغير وكان السلطان معتمد على تلك التطورات الاخيرة في الاجندة السياسية البريطانية. وكيفما يكون، لم يريد الدبلوماسيين الروس التخلي عن وجودهم في اسطنبول بسهولة لأنهم كانوا يحاولون الوصول لذلك الوضع لمدة قرنين تقريبا. وفي رده، قرر ريس افندي ان محمد علي لم يستدعي جيشه إلى مصر حتى ذلك الوقت وبناء على ذلك لم تحل المشكلة حتى الان. ولأجل ذلك السبب فإنه كان متعجبا من رغبة السلطان بتحريك السفن الحربية الروسية من البسفور. وبعد تلك الكلمات، رد الرئيس افندي انه كان هناك اسباب عديدة لذلك الطلب، الاول كان ان الدعم الروسي هدد بشدة محمد علي وعليه امر ابنه بالتوقف بجيشه في كوتاهية، والثاني كان ان كل مجهودات الكولونيل كامبل والسفير روسين، وحيث تفاوض الكل مع محمد علي وجها لوجه في الاسكندرية، بدت ان لها تأثير على الباشا. وعندما اشار إلى تلك النقاط، استنتج ريس افندي ان لكل تلك العوامل قد بدا حل الازمة قريبا. وقال ذلك لأنه حتى بينما كان يتحدث للسفير الروسي ومصطفى رشيد باشا الذي عينه السلطان لحل المشكلة والتفاوض مع ابراهيم باشا في كوتاهية (lxxxviii).

واثناء ذلك، كانت المفاوضات ماضية في كوتاهية، وكان مصطفى رشيد باشا، الذي كان الشخصية المحورية في العلاقات الانجلو-عثمانية في السنوات التالية، هو من يقود المفاوضات بالنيابة عن السلطان، مع ابراهيم باشا المتفاوض ايضا بالنيابة عن ابيه محمد علي باشا. وبعد نقاشات ساخنة حول اضنة، التي كانت المدينة الالهة لكلا الطرفين، وفي نهاية المطاف تم عقد معاهدة كوتاهية بين السلطان وواليه المتمرّد محمد علي، ووقعت في 14 ايار 1833. وبنود تلك المعاهدة لا يبدو انها كانت مرضية لكلا الطرفين. والسبب في ذلك كان ان السلطان لم يريد منح ولاية اضنة لكنه كان مضطرا لذلك بسبب الظروف الدبلوماسية. وكيفما يكون، فأمر السلطان اشار في وثيقة عثمانية إلى انه بالرغم من منح حكم اضنة إلى محمد علي كأخف الضررين، بسبب احتمالية التغير في السياسة الروسية تجاه مشكلة محمد علي وايضا الطبيعة المتمردة لفرنسا، الا ان ذلك لا يعني ان المشكلة انتهت، ان تلك المشكلة ستقدم نفسها بطريقة مختلفة تماما في المستقبل القريب (lxxxix).

ان السبب لعدم رضا محمد علي كان انه شعر بأنه فقد فرصة كبيرة لجيشه لكسب ارضى والتقدم نحو اسطنبول عاصمة الإمبراطورية . وفى الحقيقة، كان الباشا قريبا جدا للوصول إلى هدفه لأن جيشه كان في كوتاهية (مدينة قريبة جدا لإسطنبول، تقريبا على مسافة 300 كم)، عندما عقدت معاهدة كوتاهية، لكن مناورة السلطان الدبلوماسية باستدعاء الجيش الروسي إلى اسطنبول غيرت سياسات محمد علي كما غيرت السياسات البريطانية والفرنسية . وبسبب كل تلك الاسباب، فإن تلك المعاهدة بقيت سارية المفعول مؤقتا، وبدا ان السلطان والباشا سيتصارعان مرة اخرى في وقت قريب.

الخاتمة

أن مشكلة محمد علي ادت إلى حقبة جديدة في العلاقات الانجلو - عثمانية بطريقة ايجابية، وإلى حد ما والتي استمرت للعقود الاربع التالية حتى مؤتمر برلين (1878). وعندما فحصت الادبيات التاريخية الأوروبية تلك الفترة سترها كنتيجة لصراع القوى العظمى الدبلوماسية في الأراضي العثمانية . وكيفما يكون، فإن المجهودات الدبلوماسية العثمانية في ذلك الصراع في اراضيها الخاصة اهل إلى حد كبير . وفى ذلك الخصوص فإن استدعاء الجيش الروسي إلى البسفور ومعاهدة خونكاراسكله سي عام 1832م لم تحل ابدا سواء من جانب الأوروبيين أو الدراسين الاتراك مثل خطة السلطان محمود الثاني لحل مشكلة محمد علي، وهي المشكلة التي دمرت إمبراطوريته تقريبا . وكيفما يكون، فانه بناء على تحليل الوثائق العثمانية بالتفصيل فإن الهدف الرئيسي للسلطان كان اقامة تحالف عسكري مع بريطانيا، حتى في لحظة ما بدا انه يريد التحالف مع روسيا . ان هذه الدراسة تحاول اظهار تلك الخطة الخطيرة للسلطان مرتكزة على الوثائق العثمانية .

وفى الحقيقة، كان استدعاء الجيش الروسي إلى اسطنبول جزء واحد فقط من الخطة الكلية وكأمر واقع، فإن تلك الفترة الجديدة في العلاقات الانجلو - عثمانية بدأت فقط مع ظهور الجيش الروسي في اسطنبول . ان التطورات التالية لتلك الامر كانت تطورات غير مسبقة في التاريخ . ان تلك التطورات امكن تصنيفها تاريخيا من ثم معاهدة خونكاراسكله سي 1833، مشروع الفرات والذي كان جوهرها للسياسيين البريطانيين لفهم الامكانات البديلة فيما يتعلق بكيفية الوصول للهند عن طريق مختلف خلاف رأس الرجاء الصالح، معاهدة بلطة - ليما 1838، والتي اكسبت بريطانيا ارباح وامتيازات عديدة في مفاوضاتها مع الشرق، واخيرا اقرار خط شريف كلخانة في عام 1839، الذي يعد برنامج الاصلاح الاضخم في الإمبراطورية لحد ذلك الوقت اي فترة الاصلاح للسلطان محمود الثاني، والمتطابق مع المبادئ الغربية خاصة البريطانية .

- (ⁱ) Fahmy Khaled, All the pasha's Men :Mehmed Ali, his Army and the Making of Modern Egypt, the American Univrsity in cairo press, 2002,p.12.
- (ⁱⁱ) Ibid.,p.14 .
- (ⁱⁱⁱ) Bayram Soy,“Lord Palmerston’un Osmanlı Toprak Bütünlüğünü Koruma Siyaseti”, Hacettepe Üniversitesi Türkiyat Araştırmaları Enstitüsü, Sayı: 7, Ankara 2007, s. 144.
- (^{iv}) F.S. Rodkey , F.E.Bailey , G.H.Baker , C. Webster , M.Verete , V.J.Puryear and H.W.Vtemperley .
- (^v) Şinasi Altundağ, Kavalalı Mehmet Ali Paşa İsyanı Mısır Meselesi, Ankara: TTKB,1988, s. 23.
- (^{vi}) خالد فهمي، كل رجال الباشا محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، ترجمة : شريف يونس، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001 م، ص 115 – 116 .
- (^{vii}) جي فارجيت، محمد علي مؤسس مصر الحديثة، ترجمة : محمد رفعت عواد، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005م، ص 97.
- (^{viii}) J.A.R. Marriott, The Eastern Question, An Historical Study in European Diplomacy, Oxford, Clarendon Press, 1930, p.239, Vernon John Puryear, International Economics and Diplomacy in the Near East 1834-1853, p. 32.
- (^{ix}) M.Vereté, Palmerston and the Levant Crisis,1832, The Journal of Modern History, vol. 24, no. 2, p.145.
- (^x) Fatih Gencer, “İsyana Giden Yol Anadolu’ya Açılan Kapı: Mehmet Ali Paşa’nın Akka’yı Ele Geçirmesi”, History Studies, VII/1, March 2015, p. 65.
- (^{xi}) Atilla Çetin, Kavalalı Mehmed Ali Paşa’nın Mısır Valiliği, İstanbul 1998.
- (^{xii}) Stanford J. Shaw-Ezel Kural Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Vol II,(New York: Cambridge University Press 1977), pp.9-12.
- (^{xiii}) , the Foreign Policy of Palmerston, p.275.
- (^{xiv}) BOA, HAT, 2/47, 29.Z.1249.
- (^{xv}) Altundağ, Mısır Meselesi, p. 30.
- (^{xvi}) Webster, The Foreign Policy of Palmerston, p. 278.
- (^{xvii}) Enver Ziya Karal, Osmanlı Tarihi Nizamı Cedid ve Tanzimat Devirleri, Vol. V, Ankara: Türk Tarih Kurumu, 2007, s. 128.
- (^{xviii}) Fatih Gencer, İbrahim Paşa’nın Anadolu’yu İstilas, Uluslararası Sosyal Araştırmalar Dergisi, Vol. 9, no. 42, s. 641.
- (^{xix}) Karal, Osmanlı Tarihi, s. 129
- (^{xx}) Karal, Osmanlı Tarihi, s. 129.
- (^{xxi}) Altundağ, Mısır Meselesi, s.26.
- (^{xxii}) Altundağ, Mısır Meselesi, s . 60.
- (^{xxiii}) Fatih Gencer, “Hünkâr İskeleyi Antlaşmasını Hazırlayan Koşullar”, Tarih Okulu, no. 22, 2015, s. 136.
- (^{xxiv}) Karal, Osmanlı Tarihi, p. 130, Altundağ, Mısır Meselesi, s. 61.
- (^{xxv}) BOA, HAT., 72/20117, 29 Z.1248.
- (^{xxvi}) E. Engelhardt, Tanzimat ve Türkiye, Kaknüs Yayınları, İstanbul, 1999, p. 20; H. Temperley and L. Penson, Foundations of British Foreign Policy From Pitt (1792) To Salisbury (1902),The University Pres, Cambridge, 1938, s. 118.
- (^{xxvii}) BOA, HAT., 833/37560, 29 Z. 1248.
- (^{xxviii}) BOA, HAT., 1265/48980-A, 29.Z.1248
- (^{xxix}) BOA, HAT., 833/37560-K, 08.L.1248.
- (^{xxx}) BOA, HAT., 367/20280, 29.Z.1248.

- (^{xxx}) BOA, HAT., 833/37560-M, 10.L.1248.
 (^{xxxii}) Ibid.
 (^{xxxiii}) Ibid.
 (^{xxxiv}) Ibid.
 (^{xxxv}) BOA, HAT., 372/20392, 29.Z.1250.
 (^{xxxvi}) BOA, HAT., 372/20392-A, 29.Z.1250.
 A, 29.Z.1250 -) BOA, HAT., 372/20392xxxvii(
 (^{xxxviii}) Webster, The Foreign Policy of Palmerston, p. 273.
 (^{xxxix}) Rodkey, Originally presented as the author's thesis, University of Illinois, 1921. Reprint of the 1924 ed. Bibliography: p. 9.
 Meselesi, Ötüken,) Sergey Goryanof, Rus Arşiv Belgelerine Göre Boğazlar ve Şark xı(İstanbul, 2006, s.87.
 (^{xli}) Ahmet Dönmez, Osmanlı Modernleşmesinde İngiliz Etkisi, Kitap Yayınevi, İstanbul, 2014, s. 59.
 K, 08.L.1248.-) BOA, HAT., 833/37560xlii(
 (^{xliii}) عند تحليل تعيينات السلطان محمود الثاني لدبلوماسيه (نامق باشا، مصطفى رشيد باشا، نوری افندی، فتحي باشا) إلى لندن بين 1833 و 1838 وأوامره لهم، فأنا سندرك ان هدف محمود الوحيد كان عقد تحالف مع بريطانيا . لرؤية تلك الانواع من التعيينات والوامر في تلك الوثائق:
 BOA, HAT., 1190/46879 001 (29.Z.1251); 368/20339 (29.Z.1248); 1174/46430-C (05.M.1250); 1180/46612-Ç (27.Ş.1252); 1172/46412-A (29.Z.1252); 1186/46759 (29.Z.1251); 1173/46414-D (08.C.1250).
 (^{xliv}) Goryanof, ibid, p. 88
 (xlv) BOA, HAT., 833/37560-K, 08.L.1248.
 (xlv) Ibid.
 (xlvii) Ibid.
 (xlviii) David Brown, Palmerston: A Biography, Yale, 2010, p. 178
 (xlix) BOA, HAT., 362/20132, 29.Z.1248.
 (l) BOA, HAT., 1171/46344, 29.Z.1248.
 (li) David Brown, ibid., pp. 178-180.
 (lii) BOA, HAT., 1199/47070, 29.Z.1248.
 (liii) Ibid.
 (liv) Brown, ibid., p. 178
 (lv) BOA, HAT., 1199/47070, 29.Z.1248.
 (lvi) Ibid.
 (lvii) Fatih Gencer, Hünkâr İskelesi Antlaşması'nın Osmanlı-İngiliz İlişkilerine Yansımaları, Tarih Araştırmaları Dergisi, No: 34/58, s. 630.
 (lviii) Altundağ, ibid., pp. 247-248.
 (lix) Altundağ, ibid., p. 248.
) BOA, HAT., 362/20132, 29.Z.1248.lx (
) BOA, HAT., 367/20289, 29.Z.1248.lxi (
 (lxii) R.L. Baker and Viscount Palmerston, "Palmerston on the Treaf of Unkiar Skelessi", The English Historical Review, Vol. 43, No 169, Oxford University Press, (Jan., 1928), , p. 85.
 (lxiii) BOA, HAT., 369/20346, 29.Z.1248.
 (lxiv) Karal, Osmanlı Tarihi, s. 135.
 (lxv) BOA,HAT., 365/20198, 29.Z.1248.
 (lxvi) Ibid.
 (lxvii) Ibid.
 (lxviii) BOA, HAT., 365/20168, 29.Z.1248.
 (lxix) BOA, HAT., 365/20198, 29.Z.1248.
 lxx() BOA, HAT., 365/20168, 29.Z.1248.
 (lxxi)Ibid.

- (^{lxxii}) BOA, HAT., 350/19814, 2
(^{lxxiii}) Goryanof, *ibid.*, p. 89.
(^{lxxiv}) BOA, HAT., 350/19814, 29.Z.1248.
(^{lxxv}) *Ibid.*
(^{lxxvi}) *Ibid.*
(^{lxxvii}) *Ibid*
(^{lxxviii}) BOA, HAT., 350/19814, 29.Z.1248
Ibid.
(^{lxxx}) *Ibid.*
(^{lxxxi}) *Ibid*
(^{lxxxii}) BOA, HAT., 362/20132, 29.Z.1248.
(^{lxxxiii}) BOA, HAT., 362/20109, 29.Z.1248.
(^{lxxxiv}) *Ibid*
(^{lxxxv}) *Ibid.*
(^{lxxxvi}) BOA, HAT., 362/20132, 29.Z.1248.
lxxxvii() BOA, HAT., 350/19814, 29.Z.1248.
(^{lxxxviii}) *Ibid*
(^{lxxxix}) BOA, HAT., 369/20346, 29.Z.1248.

HAT 833/37560-M

247

[illegible]

NAT 372/20392

هذه الوثيقة هي خطاب من رئيس الوزراء البريطاني، اللورد جراي إلى السلطان محمود الثاني في فبراير 1833. وقد كتبها بعد التفاوض مع نامق باشا حول رغبة السلطان في التحالف العسكري (الأнгلو-عثماني) ضد محمد علي. يذكر جراي في رسالته أنه اضطر أن يعبر عن عدم قدره بريطانيا على مساعدة العثمانيين في هذا الوقت، وذلك رغم من تأكده من أن السياسيين البريطانيين علي وعي تام بأهمية الإمبراطورية العثمانية لبريطانيا وذلك في حالة وجود احتمال هجوم من قبل جيش محمد علي على اسطنبول، لن يسمحوا للإمبراطورية العثمانية أن تسقط وتضمحل.